مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية

تعليقات على أبيات الحج

من

ميمية ابن القيم

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

اعتنى بها
خالد بن عبد الله الكندري

تعليقات على أبيات الحج

من

ميمية ابن القيم

الجعفية

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

اعتنى بها
خالد بن عبد الله الكندري

الطبعة الأولى
١٤٤٤ / ٢٠٢٣

تَمَّ تَـنْسِيقُ هذه المَادَّة ومُراجَعَتُها في

هاتف: ٥٠٣٥٠٠٧٧ – ٩٧٩٢٨٢٣٦ (٩٦٥+) البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلىٰ اللهُ وسلَّم عليه، وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ للإمامِ ابنِ القيِّم رحمه الله منظومةً عظيمةً نافعةً؛ اشتملتْ علىٰ وصايا مُسَدَّدة، وتوجيهاتٍ مُباركة، وضمَّنها رحمه الله أبياتًا تقرُبُ من خمسينَ بيتًا، بيَّن رحمه الله فيها عَدَدًا مِنَ العِبَرِ والحِكَمِ والدُّرُوسِ والعِظات التي تُستفادُ من حجِّ بيت الله الحرام، ولمَّا كان وقتُ الموسِمِ المُبارَكِ قريبًا ناسَبَ نشر هذه الأبيات العظيمة، وبيان ما فيها من الدُّروسِ والعِبَرِ والعِظات؛ ليستحضرَها الحاجُّ ويستفيدَ منها أثناء تأديته مناسِك الحجِّ؛ رجاءَ أن يكونَ حجُّه مبرورًا.

وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

ومنافعُ الحَجِّ لا تُحصىٰ، وفوائده لا تُستقصىٰ، وعِبَرُه ودروسُه المستفادة منه لا يُحاط بها، وسنقِفُ مِن خلال هذه الأبيات -بإذن الله تعالىٰ- علىٰ جملةٍ طيِّبةٍ من الدُّروس العظيمةِ، والمنافعِ الجليلة، المستفادة مِنْ حَجِّ بيت الله الحرام، واللهُ وَحدَهُ وليُّ التوفيق.

ونسألُ اللهَ ﷿ أن يغفرَ للإمام ابن القيِّم رحمه الله، وأن يُعليَ درجاتِه في جنات النَّعيم، وأن يباركَ في هذه المنظومةِ النافعةِ، وأن يرزُقَنا الإخلاصَ في الأقوالِ والأعمالِ، وأنْ يُصْلِحَ لنا شأننا كُلَّه، وأن لا يَكِلَنا إلىٰ أنفسِنا طرفةَ عين(١).

(١) أصْلُ هذا الشَّرح دَرْسٌ ألقيتُهُ في شرح هذه الأبيات بطَلَبٍ مِن أحدِ الفُضلاء، ثُمَّ فُرِّغَ الدَّرسُ وتمَّ إعدادُهُ للطِّباعةِ، فراجعتُهُ وحرَّرتُهُ وزِدْتُ فيه فوائدَ وعددًا من النُّصوص المتعلِّقة بالأبيات، وأشكُرُ كُلَّ مَن شارك في نشرِ هذه الرِّسالة والعملِ عليها، وأخصُّ منهم الإخوةَ في مكتب إتقان للتحقيق والدراسات في دولة الكويت لمزيدِ عنايتهم بها.

قال الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَا والذِي حَجَّ المُحِبُّونَ بَيْتَهُ
ولبُّوا لهُ عند المُهَلِّ وأحْرَمُوا

وقدْ كَشفُوا تِلكَ الرُّؤوسَ تواضُعًا
لِعِزَّةِ مَن تَعْنو الوُجوهُ وتُسلِمُ

يُهلُّونَ بالبيداءِ: لبَّيكَ ربَّنا
لكَ المُلكُ والحَمْدُ الذي أنتَ تَعْلَمُ

دَعاهُمْ فلبَّوْهُ رِضًا ومَحَبَّةً
فلمَّا دَعَوهُ كان أقربَ منهمُ

قوله: «أمَا والذِي حَجَّ المُحِبُّونَ بَيْتَهُ»: بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ أبياتَ وَصْفِ مشاهِدِ حجِّ بيت الله الحرامِ بهذا القَسَمِ العظيم بالله عَزَّ وَجَلَّ الذي حَجَّ الحَجِيجُ بيتَه الحرامَ.

وقوله: «المُحِبُّونَ»: فيه صِفَةٌ جليلةٌ من صِفاتِ حُجَّاج بيتِ الله الحرامِ؛ فالذي يَحْدُوهم لهذا النَّصَبِ وهذا التَّعَبِ والجَهْدِ والتَّغَرُّبِ عن الأهل والأوطان هو حُبُّ الله جَلَّ جَلَالُهُ، وحُبُّ

طاعته، وحُبُّ رُؤيةِ بيتِه ﷻ، والتَّشَرُّفُ بأداء هذه الشَّعائرِ العظيمةِ المُبارَكَة.

قوله: «**بَيْتَهُ**»: إضافةُ البيت إلى الله ﷻ إضافةُ تَشْرِيفٍ للبَيت، وتعليةٍ لمكانته، وبيانٍ لعظَمَةِ هذا البيت الذي هو قِبْلَةُ المسلمين؛ كما قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

قوله: «**وَلبُّوا لهُ**»: أي: لبُّوا الله ﷻ، والتلبيةُ في اللغة: هي الاستجابةُ والامتثالُ والطَّواعيةُ.

فمعنى قولِ الحاجِّ: «**لبيك اللهمَّ لبيك**» أي: أنا مُمْتَثِلٌ مُطيعٌ مُستَجِيبٌ لأمرك يا الله.

قوله: «**عند المُهَلِّ**»؛ هو المِيقاتُ الذي يُهِلُّ الحاجُّ عنده؛ كما صَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مُهَلُّ أَهْلِ المدينةِ ذُو الحُلَيفَة**»(١)، أي: ميقاتهم.

قوله: «**وَأحْرَمُوا**»: أي: أحرموا بالحجِّ؛ إمَّا متمتِّعين أو قارنين أو مُفرِدين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥٢٨)، ومسلم في «صحيحه» (١١٨٢).

قوله: «**وقدْ كَشفُوا تِلكَ الرُّؤوسَ توَاضُعًا**»: يُبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحكمةَ من كونِ المُحْرِمِ يَحسُرُ رأسَهُ في الحجِّ والعمرة؛ فإنَّ هذه الهيئةَ هيئةُ تواضُعٍ وانكِسارٍ وتَعْظيمٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولهذا كان مِنْ محظورات الإحرام تغطيةُ الرأس بمُلاصِق مُدَّةَ الإحرام؛ فيحسر الحاجُّ عن رأسه ما كان يتزيَّنُ به، واعتاد وَضْعه عليه في غالبِ أوقاته؛ تواضُعًا لله جَلَّ جَلَالُهُ، وانكِسارًا بين يديه، وإقبالًا عليه؛ لأداء هذه العبادة العظيمةِ بهذه الهيئة.

وهذا أمرٌ مُسْتَقِرٌّ عند الناس؛ أنَّ حَسْرَ الرأسِ فيه نوعٌ من التَّعظيمِ والانكِسارِ؛ ولهذا يمارِسُهُ بعضُ ضُلَّالِ المُتصوِّفةِ والطُّرُقيَّةِ مع شُيُوخهم.

قوله: «**لِعِزَّةٍ**»: فكَشْفُ الحُجاجِ لرؤوسِهِم فعلوهُ تواضُعًا لِعِزَّةِ الله العَزيزِ القهَّار جَلَّ جَلَالُهُ، الذي بيدِه أَزِمَّةُ الأمُورِ كُلِّها.

قوله: «**مَن تَعْنو الوُجوهُ**»: أي: تَخْضَعُ الوُجُوهُ وتَذِلُّ وتنكَسِرُ وتَخْشَعُ له جَلَّ جَلَالُهُ، كما قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١].

قوله: «**وتُسْلِمُ**»: أي: تَنقادُ هذه الوُجُوه إلىٰ ربِّها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مطيعةً له، مُمتَثِلةً لأمْرِه عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «**يُهلُّونَ بالبيداءِ**»: مُرادُهُ: ميقات أهلِ المَدِينةِ.

قال العلماء : «البيداءُ هي: الشَّرَفُ الذي قُدَّام ذي الحُلَيفة إلىٰ جِهَةِ مكة، وهي بقُربِ ذي الحُليفة، وسُمِّيتْ بيداء لأنه ليسَ فيها بناءٌ ولا أثر، وكُلُّ مَفازةٍ تسمَّىٰ بيداء»(١)، ويُعَدُّ ميقاتُ ذي الحُليفةِ أَبْعدَ المواقيتِ المكانيةِ مسافةً عن بيت الله الحرام.

قوله: «**لبَّيْكَ ربَّنا**»: أي: ينْطِقون في الميقات بهذه التَّلبيةِ العظيمة؛ وينطلقون منه متواضِعين لله ﷻ، قد حسَروا رؤوسَهُم، ولبسوا الإزارَ والرِّداءَ، واغتسلوا، وتطيَّبوا في أبدانِهم، مُرَدِّدين هذه التَّلبيةَ العظيمةَ المُباركة من الميقات الذي أحرموا منه إلىٰ أن يَصِلوا بيتَ اللهِ الحرامَ.

وممَّا يُبيِّنُ عِظَمَ هذه الشعيرةِ أنَّهم لا يمرُّون في طريقِهم بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلَّا وشاركهم في تلبيتهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إلَّا لبَّىٰ ما عن يمينِهِ وعن شمالِهِ مِنْ شَجَرٍ وحَجَرٍ، حتَّىٰ تنقَطِعَ الأرضُ هاهُنا وهاهُنا**»(٢).

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٨/ ٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٨٢٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٦٣٤) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٢).

ومعنى قولهم: «**لَبَّيك**»: أي: نحن مُسْتَجِيبونَ لك مطيعون لأمرك ربَّنا، وتكرارها في قولهم: «**لَبَّيك اللهم لَبَّيك**» يُرادُ بهِ: استجابةٌ وامتِثالٌ يتبعُهُ امتثالٌ، وانقيادٌ يتبعُهُ انقيادٌ.

قوله: «**لكَ المُلكُ والحَمْدُ الذي أنتَ تَعْلَمُ**»: يشيرُ رحمه الله لقول المُلَبِّي في تلبيتِه: «**إنَّ الحَمْدَ والنِّعمةَ لك والمُلْك، لا شَرِيك لك**».

والألف واللام في قول المُلبِّي: «**الحَمْد والنِّعمة والمُلك**» للاستغراق، أي: لكَ الحَمْدُ كُلُّه، ولك النِّعمةُ كُلُّها، ولكَ المُلكُ كُلُّهُ، لا شريكَ لك في شيءٍ من ذلك.

ويظهرُ ممَّا سبقَ أنَّ ألفاظَ هذه التلبيةِ المُباركةِ قد تضمَّنت أعظمَ المعاني، وأَجَلَّ المَطالبِ، وأنبلَ الغايات؛ فينبغي على كُلِّ مُحْرِمٍ أن يتعلَّمَ معانيَ هذه الألفاظ ويتدبَّرَها وقتَ تلبيتِهِ؛ ليكونَ أثرُها عليه عظيمًا.

ومِن ذلك أنَّ هذه الكلمات تضمَّنت نوعَي التَّوحيد؛ العِلميِّ والعَمَليِّ، فإنَّ التَّوحيدَ الذي خلقَ اللهُ تعالى الخلقَ لأجلِه وأَوْجَدَهُم لتحقيقِه ينقسِمُ إلى نوعين:

* توحيدٌ عِلْمِيٌّ: دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

* وتوحيدٌ عَمَلِيٌّ: دلَّ عليه قولُ اللهِ سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦].

وقد اجتمعَ في التَّلبيةِ النوعان؛ فقول الـمُلبِّي: «لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريكَ لك لبَّيك» يتضمَّنُ التوحيدَ العَمَليَّ.

وقوله: «إنَّ الحَمْدَ والنِّعمةَ لك والمُلك، لا شريكَ لك» يتضمَّنُ التَّوحيد العِلميَّ.

قوله: «**دعاهُم**»: أي: دعاهم اللهُ ﷻ إلىٰ حَجِّ بيتِه الحرامِ فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج:٢٧]، وأوحىٰ إلىٰ رسولِهِ ﷺ أن يقولَ: «**أيُّها النَّاسُ، قد فرضَ اللهُ عليكُم الحَجَّ، فحُجُّوا**»(١).

قوله: «**فلبَّوْهُ**»: أي: استجابوا لنداءِ الرَّحمن حين دعاهُم إلىٰ حجِّ بيتِهِ العظيم، فكان جوابُهم: «**لبَّيك اللهمَّ لبَّيك**».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٣٣٧).

قوله: «**رِضًا ومَحَبَّةً**»: أي: محبَّةً لشرعِه، ورِضًا بدِينه الذي دعاهُم إليه ﷺ، ورِضًا عنه ﷻ.

وفي هذا بيانٌ أنَّ تلبيةَ الحُجَّاجِ لربِّهم باعِثُها المحبَّةُ والرِّضا وانشِراحُ الصَّدر لأداء هذه العبادةِ العظيمةِ؛ احتِسابًا لأجرها، وحُبًّا لها، ورِضًا بها.

قوله: «**فلمَّا دعَوْه كان أقربَ منهمُ**»: أي: عندما دعاهُ الحُجَّاجُ وسألوه حاجاتهم من خيري الدنيا والآخرة «**كان أقربَ منهمُ**»؛ فبادرهُم بالإجابة والإثابة، كما قال النبيُّ ﷺ: «...**والحاجُّ والمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللهِ، دعاهُم فأَجابُوهُ، وسَأَلُوهُ فأَعطاهُمْ**»[1].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**والذي تدعونَهُ أَقربُ إلىٰ أحدِكم مِن عُنُقِ راحِلَةِ أحدِكم**»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٣)، وصحَّحه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٢٠).

(٢) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٢٧٠٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَرَاهُمْ على الأنضاءِ شُعْثًا رؤوسُهُمْ
وغُبْرًا وهُمْ فيها أَسَرُّ وأَنْعَمُ

وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً
ولم يُثنِهِمْ لذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ

يَسِيرونَ مِن أقطارِها وفِجاجِها
رِجالًا ورُكْبانا ولله أَسْلَمُوا

شرع المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في وَصْفِ رحلةِ الحَجِّ، منذ انطلاقِ الحاجِّ من بلاده -لا سيما في تلك الأزمان- وما يقعُ له في أثناء ذلك من أمور إلىٰ أن يُتِمَّ حجَّه، فبدأ هذا الوَصْفَ العجيبَ بقوله:

«**تراهُمْ على الأنضاءِ**»: الأَنْضَاءُ: جمعُ نِضْوٍ، وهي: الدَّابَّةُ المَهْزُولَةُ من السَّيْرِ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج:٢٧]، أي: وعلىٰ كُلِّ جَمَلٍ مَهْزُولٍ أَضْمَرَهُ السفر.

فالحاجُّ يُكابِدُ عناءَ الطريق، ووَعْثاءَ السفر، ووَهَجَ الشمس،

ولفح الرِّياح على هذه الإبل العِجافِ المَجهودة، قاصِدًا البيتَ الحرامَ.

قوله: «شُعْثًا رُؤُوسُهُمْ وغُبْرًا»: يَصِفُ ﵀ حالَ رُؤُوسِهم بأنَّها شعثٌ وغُبْرٌ من طُولِ السَّفرِ، والتعرُّضِ للرِّياح والأَتربة والغُبار، ظاهرٌ عليهم التَّعَبُ ومَشقَّةُ طولِ السَّفَر.

قوله: «وهُمْ فيها أَسَرُّ وأَنعَمُ»: أي: رُغْمَ التَّعَبِ الظَّاهرِ على رُؤُوسِهم ووُجُوهِهم والجهدِ العظيمِ لأبدانِهم؛ إلا أنَّهم في غايةِ السُّرورِ والفرحِ، ويجدون لهذا التعب لذَّةً وحَلاوةً؛ لأنَّه أثرٌ حصَلَ في سبيلِ الله ﷻ، وفي طلبِ مرضاتِه، والعِتْقِ من نيرانِه، وفي السَّيرِ لبيتِه الحرام، رجاءَ حطِّ الخطيئاتِ، وإِقالةِ العَثَرات، ولا يتضجرون لحالِهم والتَّعب الذي يلحقُهم بسببِ السَّفر، بل هم مسرورون فَرِحون، يَجِدُون في نفوسهم غِبْطةً بهذا الأمر الذي هُم فيه، وأنَّ اللهَ خصَّهم بهذا الفضْلِ العظيم.

قوله: «وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً»: أي: تركوا ديارهم وتغرَّبوا عن أوطانهم وفارقوا أولادهم وأهليهم؛ طمعًا فيما عند الله ﵎، وطلبًا لثوابِه، والعتقِ من النيران؛ والفوزِ بالجنان.

قوله: «**وَلم يُثْنِهِمْ لذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ**»: أي لم يمنعهم ولم يَحُلْ بينهم وبين الحَجِّ لذَّاتُهم والتنعُّمُ، بما يكون في البلدِ من الراحةِ والتِّجارةِ ونحوِها؛ بل أقدَموا علىٰ تحمُّلِ مشقَّةِ السَّفرِ وشِدَّتِه ومخاوفِ الطَّريقِ؛ لِمَا رَجَوهُ وأمَّلُوه من خالقِهِم ومالِكِهم ﷻ، من إقالة العثرة، ومغفرة الزلَّةِ، ورِفْعةِ الدَّرجةِ.

قوله: «**يَسِيرونَ مِن أقطارِها وفِجاجِها**»: فالحجيجُ لم يأتوا من مكان واحد؛ وإنما جاؤوا من أنحاءِ المعمورةِ، ومن البلاد القاصية والدانية، وقد كانت بعضُ رحلات الذهاب إلىٰ الحجِّ تستغرقُ شهرًا كامِلًا، وقد يمتدُّ السَّفرُ في بعضِها إلىٰ ثلاثةِ أشهر كاملة، فكانت تلحقُهم في سفرهم للحجِّ شِدَّةٌ عظيمةٌ، ومعاناةٌ ونَصَبٌ؛ وكُلُّ ذلك لا يُثنيهم عن الغاية العظيمة التي قصدوها وتوجهوا إليها.

قوله: «**رِجالًا**»: أي: يسافرون علىٰ أرجلهم مشاةً؛ لعدم توفُّر الراحلة، **وقوله:** «**ورُكْبانا**»: أي: راكبين علىٰ الراحلة لمن كان يَجِدُها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾[الحج:٢٧].

فقوله ﷻ: ﴿رِجَالًا﴾: أي: على أرجلهم، وقوله ﷻ: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: البعيرُ الذي أتعبهُ السَّيرُ وصارَ هزيلًا من طول السَّفر -كما تقدَّم قريبًا-.

وأمَّا السَّفرُ في هذا الزَّمن عبر الوسائل الحديثة؛ كالطَّائرات، فإنَّه مَن في أقصى الدُّنيا يستطيعُ أن يَصِلَ إلى بلدِ الله الحرامِ في أقل من يوم واحد، دون أن يُصِيبَهُ غَبَرٌ أو شَعثٌ، بل جميع أسبابِ الراحةِ متاحةٌ وقتَ سفرِه؛ من مأكلٍ ومشربٍ وخِدمةٍ ومَقْعَدٍ مريحٍ، وجوٍّ لطيفٍ.

قوله: «**ولله أسْلمُوا**»: أي: إنَّما حصل هذا السَّفر منهم امتثالًا وانقيادًا واستسلامًا لأمر الله ﷻ، مخلصين إسلامهم وعملهم لله ﷻ وحده.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

ولمَّا رأتْ أبصارُهُم بيتَهُ الذي
قلوبُ الوَرَىٰ شَوقًا إليهِ تَضَرَّمُ
كأنهمُ لمْ يَنْصَبُوا قطُّ قبْلَهُ
لأنَّ شَقاهُمْ قد ترحَّلَ عنْهُمُ
فلِلَّهِ كمْ مِن عَبْرةٍ مُهْراقةٍ
وأُخرىٰ علىٰ آثارِها لا تَقَدَّمُ
وَقدْ شَرِقتْ عينُ المُحِبِّ بدَمْعِها
فينظرُ مِن بينِ الدُّموعِ ويُسْجِمُ
إذا عايَنَتْهُ العَيْنُ زالَ ظلامُها
وزالَ عن القلبِ الكئيبِ التألُّمُ
ولا يَعْرِفُ الطَّرْفُ المُعاينُ حُسْنَهُ
إلىٰ أن يعودَ الطرْفُ والشوقُ أعْظمُ
ولا عَجَبٌ مِن ذا فحِينَ أضافهُ
إلىٰ نفسِهِ الرَّحمنُ؛ فهو المعظَّمُ

كسَـــــاهُ مِنَ الإجْلالِ أعظمَ حُلَّةٍ

عليها طِرازٌ بالمَلاحَةِ مُعْلَـــمُ

فمِـــنْ أجلِ ذا كلُّ القلوبِ تُحِبُّهُ

وتَخْضَـــعُ إجْلالًا لهُ وتُعَظِّمُ

قوله: «ولمَّا رأتْ أبصارُهُم بيتَهُ»: يَصِفُ الناظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ حالَ الحجيجِ بعد تجاوزهم لمشقَّةِ السَّفرِ ومعاناتِه المتقدِّمةِ، ووُصولهم إلىٰ بيت الله الحرام وقد ملأهم الشَّوقُ والحبُّ لرؤية هذا البيتِ العظيمِ الذي لطالما كانوا يتوجَّهُون إليه في صلاتِهم، ويشتاقون لرؤيتِه.

قولُهُ: «الذي قلوبُ الوَرَىٰ شوقًا إليه تَضَرَّمُ»: فجميعُ قلوب المؤمنين تلتهبُ وتتحركُ شوقًا لهذا البيتِ؛ لتطوفَ به، وتؤدِّي مناسِكَ الحجِّ والعُمرة.

قوله: «كأنهمُ لمْ يَنْصَبُوا قطُّ قبْلَهُ»: فجميعُ التَّعبِ الشَّديدِ الذي لَحِقَهم من السَّفر ينزاحُ ويذهبُ عند رؤيتهم للبيت العتيقِ، وكأنه لم يحصلْ لهم أدنىٰ تعبٍ.

قوله: «**لأنَّ شَقاهُمْ قد ترحَّلَ عنْهُمُ**»: أي: ذهبَ الشقاءُ والتَّعبُ وكأنَّهُم لم يَنَلْهم شيءٌ من ذلك؛ لأنَّ قلوبَهُم امتلأتْ سُرورًا وفَرَحًا وسعادةً برؤيتهم لبيتِ الله الحرام.

قوله: «**فلِلَّهِ كمْ مِن عَبْرةٍ مُهْراقةٍ**»: العَبرةُ هي: الدَّمعة.

وقوله: «**مُهْرَاقةٍ**»: أي: منهمرة.

«**وأُخرىٰ علىٰ آثارها لا تقدَّم**»: أي: دَمعةٌ أخرىٰ تعقُبُ الدَّمعة الأولىٰ.

فهذه العُيون التي سَعِدَت وقرَّت برؤية بيت الله الحرام لم تتمالك أن تحبِسَ دموعها، بل إنَّ الدموعَ تنهمرُ منها واحِدةً تلوَ الأُخرىٰ؛ فرحًا وسعادةً وهناءةً ولذَّةً برؤية بيت الله الحرام.

قوله: «**وَقدْ شَرِقتْ عينُ المُحِبِّ بدَمْعِها**»؛ فالدُّموعُ لكثرتها ملأتْ محاجِرَ العُيون، فعينُ الحاجِّ المُحبِّ لرؤية بيت الله الحرام لكثرةِ الدَّمعِ اغْرَوْرَقَت به، فلا ترىٰ الأشياءَ واضِحَةً بسببِ امتلائها بالدُّموع.

قوله: «**فينظرُ مِن بينِ الدُّموعِ ويُسْجِمُ**»: فرُغمَ وُجودِ هذا الدَّمع الذي غطَّىٰ العينين، إلا أنَّ الحاجَّ لا يُشِيحُ ببصرِهِ عن هذا

البيت العظيم، بل يتلذَّذُ برؤيتِهِ والنَّظَرِ إليه ولو كانت الرؤيةُ غير واضِحةٍ من الدُّموع.

قوله: «**إذا عَايَنَتْهُ العَيْنُ زالَ ظلامُها**

وزالَ عن القلبِ الكئيبِ التَّألُّمُ»:

أي: إذا رأىٰ الحاجُّ بيت الله ﷻ، وأبصرتْ عينُهُ عظمَةَ مقامِهِ؛ فإنَّ الظلامَ الذي كان عليها من ملاذِّ الدُّنيا وصوارفها وشواغلها سيزول وينقشِعُ، وتزولُ الكآبةُ التي شَغَلتْ قلبَهُ بهموم الدُّنيا، ويُبصِرُ بهذا الموقف لذَّة الطاعة، وهناءة العبادة، وحياةً أخرىٰ هي أسعدُ ما يكون.

قوله: «**ولا يَعْرِفُ الطَّرْفُ المُعاينُ حُسْنَهُ**

إلىٰ أن يعودَ الطَّرْفُ والشَّوقُ أعْظَمُ»:

فالحاجُّ كُلَّما نظرَ إلىٰ البيتِ العتيقِ ووَجَدَ اللذَّة والهناءَة، والنُّورَ الذي غمَرَ بصرَهُ وقلبَهُ، فإنَّه سيعاود النَّظرَ إليه مرَّةً أُخرىٰ، وكُلَّما نزَلَ طَرْفُهُ عن بيت الله الحرام حملَهُ الشَّوقُ والحبُّ لرؤيتِهِ مرَّةً بعدَ مرَّة، ولن يَمَلَّ من تَكرارِ النَّظر إليه.

قوله: «ولا عَجَبٌ مِن ذا فحِينَ أضافهُ
إلىٰ نفسِهِ الرَّحمنُ؛ فهو المُعَظَّمُ»:

يُبيِّنُ الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لا عَجَبَ ولا استغراب مِنْ أن يكون حالُ مَنْ يرىٰ البيتَ الحرام بهذه الصِّفة؛ لأنَّ هذا الشَّوْقَ والحُبَّ والسُّرور برؤية بيت الله الحرام ليس لأمرٍ راجعٍ لذاتِ البيتِ، بل هو لكونِ رَبِّ العالمين جَلَّ جَلَالُهُ عظَّم هذا البيتَ، وجَعَلَهُ قِبلةً للمسلمين، ومَهْوًىٰ لأَفئدةِ المؤمنين؛ وأضافَهُ إلىٰ نفسِهِ عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج:٢٦].

وتعظيمُ شعائرِ الله عَزَّ وَجَلَّ علامةٌ علىٰ الإيمان والتَّقوىٰ؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢].

قوله: «كسَاهُ منَ الإجْلالِ أعظمَ حُلَّةٍ
عليها طِرازٌ بالمَلاحَةِ مُعْلَمُ»:

بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد جمع لبيتِهِ الحرام بين أمرين:

الأوَّلُ: العظمةُ والهيبةُ في النُّفوسِ، والمكانةُ والإجلالُ في قلوب المؤمنين.

الثاني: أنَّه ﷺ كَسَاه أيضًا مَلاحَةً وحُسْنًا وبَهاءً وجَمالاً في مَظْهَرِهِ.

قوله: «فمِنْ أجلِ ذا كلُّ القلوبِ تُحِبُّهُ

وتَخْضَعُ إجْلالًا لهُ وتُعَظِّمُ»

فهذا التَّعظيمُ والإجلالُ والمحبَّةُ لبيت الله الحرام راجِعٌ لما تقدَّمَ من مَكانةِ البيتِ العظيمةِ، وتقدَّمَ أنَّ تعظيمَهُ مِن تعظيم الربِّ العظيمِ ﷻ، ومن تعظيمِ شعائرِه؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وَرَاحُوا إلى التَّعْريفِ يَرْجُونَ رحمةً
ومغفرةً مِمَّن يجودُ ويُكرِمُ

فلِلَّهِ ذاكَ الموقفُ الأعظمُ الذي
كموقفِ يومِ العَرْضِ، بلْ ذاكَ أعظمُ

ويدْنُو بهِ الجبَّارُ جَلَّ جلالُهُ
يُباهِي بهمْ أمْلاكَه، فهو أكرَمُ

يقولُ: عِبادِي قدْ أتَوني مَحَبَّةً
وإنِّي بهمْ بَرٌّ؛ أجُودُ وأرْحَمُ

فأشْهِدُكُمْ أنِّي غَفَرْتُ ذنُوبَهُمْ
وأعْطيْتُهُمْ ما أمَّلوهُ وأنْعَمُ

فبُشْراكُمُ يا أهلَ ذا المَوقفِ الذي
به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويَرحمُ

فكمْ مِن عتيقٍ فيه كُمِّلَ عِتقُهُ
وآخرُ يَسْتسعِي وربُّكَ أرْحَمُ

ومَا رُئِيَ الشيطانُ أغيظَ في الوَرَى
وأحْقرَ منهُ عندها، وهو ألأمُ

وَذاكَ لأمْــرٍ قـد رَآه فـغــاظَـهُ
فأقبلَ يَحْثُو التُّـــرْبَ غَيْظًا ويَلْطِـــمُ

وما عاينتْ عيناه مِن رحمةٍ أتتْ
ومغفرةٍ مِن عندِ ذي العرْشِ تُقْسَـــمُ

بَنَى ما بَنى حتى إذا ظَنَّ أنَّه
تمَكَّنَ مِن بُنيـانِـهِ فهو مُحْكَـــــمُ

أَتَـى اللهُ بُنيَانًا له مِن أساسِهِ
فخــــرَّ عليه ســاقطًـــا يتهـــدَّمُ

وَكمْ قدْرُ ما يعلو البناءُ ويَنْتهي
إذا كـان يَبْنِيـهِ وذو العرش يَهـدِمُ؟!

بعدما أنهى ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَصْفَ وُصولِ الحجيجِ لبيتِ الله الحرامِ، ووُقُوفِهم عندَهُ، ورؤيتِهم له؛ شرعَ يذكُرُ انطلاقَهم إلى المناسِك لأداءِ أعمالِ الحجِّ، فوَصَفَ في هذه الأبيات وُقوفَهم في عرفات، وحالَهم في ذلك الموقفِ العظيمِ، وحَرَصَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظمِهِ على وَصْفِ أركانِ الحجِّ وواجباتِه.

قوله: «**ورَاحُوا**»: **الرَّواحُ** في اللغة: يُطلقُ غالبًا علىٰ الذَّهاب آخِرَ النَّهار، ويُطْلَقُ **الغُدُوُّ** علىٰ الذَّهاب أوَّل النَّهار.

ولكن قد يَرِدُ الرَّواحُ في النُّصوصِ ويُرادُ به مُطْلَقُ الذَّهاب؛ ومن ذلك قول النَّبيِّ ﷺ في التَّبكير لصلاة الجُمُعةِ: «**مَن اغتسَلَ يومَ الجُمعةِ غُسْلَ الجنابةِ ثُمَّ راحَ فكأنَّما قرَّبَ بَدَنةً**...»(١)، وهذا في أوَّلِ النَّهار، فمعنىٰ الرَّواح هنا: مُطْلَقُ الذَّهاب، ومِنْهُ قول النَّاظمِ رَحِمَهُ اللهُ في هذا البيت «**ورَاحُوا**»: أي: ذهبوا.

قوله: «**إلىٰ التَّعْريفِ**»؛ التَّعريف هو: الوقُوف بعرفات، أي: ذهب الحجيجُ إلىٰ عرفات للوقوف بها.

قوله: «**يَرْجُونَ رحمةً ومغفرةً**»: فالغايةُ مِن وُقُوفهم هي طلبُ رَحْمةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وغُفرانِ الذُّنوب.

قوله: «**مِمَّن يَجودُ ويُكرِمُ**»: وهو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ الجَوادُ الكريمُ الذي لا يتعاظَمُهُ ذنبٌ أن يغفرَه، ولا حاجةٌ يُسألُها أن يُعْطِيَها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو القائلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (٨٨١)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٨٥٠).

قوله: «**فلِلَّهِ ذاكَ الموقفُ الأعظمُ**»: يُبيِّنُ ﵀ عَظَمةَ المَوقفِ يوم عرفةَ؛ حين يجتَمِعُ الناسُ علىٰ صَعيدِ عرفةَ مِنْ أنحاءِ الدُّنيا، وأرجاءِ المعمورةِ، بألسنةٍ مُختلفةٍ، وألوانٍ مُتباينة، وبُلدان متنوِّعة، في يومٍ ومكانٍ ووقتٍ واحِدٍ، والذي جمعَهم هذا الجمعَ هو ربُّ العالمين ﷻ.

قوله: «**الذي كموقفِ يومِ العَرْضِ**»: يُشبِّهُ النَّاظمُ ﵀ موقِفَ الحجيجِ يومَ عرفةَ بالوُقوفِ في عرصات يومِ القيامة؛ حينَ يجمعُ اللهُ ﷻ الأولينَ والآخرينَ، فهؤلاءِ الحجيجُ بعدما كان كُلُّ واحِدٍ منهم في بيته بين أولادِه، أو مُنشَغِلًا بتِجارتِه ومصالِحِه؛ انصرفوا عن هذا كُلِّه ليقِفوا عشيَّةَ عرفةَ في صعيدٍ واحِدٍ، فحالُهُم في هذا الاجتماعِ العظيمِ يُذَكِّرُ باجتماعِهم ووقوفِهم في عرصات يومِ القيامة في صعيدٍ واحِدٍ ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٨].

قوله: «**بلْ ذاكَ أعظمُ**»: بعدما شبَّه النَّاظمُ ﵀ موقفَ الحجيجِ يومَ عرفةَ بالوقوفِ في عرصات القيامة احترزَ بأنَّ يومَ القِيامةِ أعْظَمُ خَطْبًا، وأكثرُ جمعًا، فلا يلزمُ من هذا التَّشبيه تساوي

العَرضين في العِظَمِ والهَولِ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ في يومِ القيامةِ يجمعُ الأوَّلين والآخرين أجمعين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠].

والحاصل: أنَّ اجتماعَ النَّاسِ في يوم عرفةَ في ذلك المكانِ والوقتِ، وهم على تلك الحال في صعيدٍ واحِدٍ؛ يُذَكِّرُ بمشهدِ اجتماع الخلقِ يومَ القيامةِ.

قوله: «**ويدْنُو به الجبَّارُ**»: أي: دُنُوًّا يليقُ بجلالِه، لا يُشبِهُ دُنُوَّ المخلوقين.

والقاعِدةُ عند أهل السُّنَّةِ والجماعةِ في نصوصِ الصِّفاتِ: أنَّهم يُمِرُّونها كما جاءت، ولا يُكيِّفون ولا يُمثِّلون ولا يُحرِّفون ولا يُعطِّلون، فلا يجوزُ للإنسان أنْ يُعمِلَ فِكرَهُ وعَقْلَه القاصرَ في معرفة الكَيفِ، ولا يجوزُ أيضًا أن يَقِيسَ الله ﷻ بخلقِه؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ويقول ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

قوله: «**ويدْنُو به**»: الباء في «**به**» بمعنى: في، وحروف الجر تتناوب، فالمعنى أنَّه ﷻ يدنُو في ذلك اليوم.

وقوله: «**الجبَّارُ جَلَّ جلالُهُ**»: **الجبَّار**: اسمٌ من أسماء الله ﷻ الحُسنىٰ، **وله ثلاثةُ معانٍ**:

الأوَّلُ: أنَّه القَهَّار لكُلِّ شيءٍ، الذي دانَ له كُلُّ شيءٍ.

الثاني: أنَّه العَليُّ علىٰ كُلِّ شيءٍ؛ فله جميعُ معاني العُلوِّ؛ عُلوُّ الذات، وعُلوُّ القَدْرِ، وعُلوُّ القَهرِ.

الثالث: أنَّه راجِعٌ إلىٰ معنىٰ اللُّطفِ والرَّحمة؛ فهو ﷻ الذي يجبُرُ الكسير، ويُغني الفقير، ويُيَسِّرُ العسير.

ومرادُ النَّاظِم من هذه المعاني في هذا السياق هو الثالث؛ فالله ﷻ في هذا الموقفِ العظيمِ هو الذي يجبُرُ قلوبَ الحجيجِ بإقالةِ عثرتِهم، وغفرانِ زلَّتِهم، ويَجبُرُ قلوبَ الحجيج بإجابةِ دعوتِهم، وإعطائهم سُؤْلَهم، ويجبُرُ قلوبَهم بتيسيرِ أمورِهم، وكشفِ كُرَبِهم.

قوله: «**يُباهِي بهمُ أمْلاكَه**»: أي: ملائكته؛ كما وردَ في الحديثِ قول النَّبيِّ ﷺ عن يوم عرفةَ: «**وإنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُباهي بهم الملائِكَةَ؛ فيقُولُ: ما أرادَ هؤلاءِ؟!**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٣٤٨).

قال: «**فهو أَكْرَمُ**»: من أسماء الله ﷻ الحُسنى: **الكريم والأكرم**؛ ومن معاني اسمِ اللهِ **الكريمِ والأكرمِ** أنه الذي: يُقِيلُ العَثرةَ، ويَقبلُ التَّوبةَ، ويُجيبُ الدَّعوةَ.

قوله: «**يقولُ**»: أي يقول الله ﷻ مُباهِيًا الملائكة بوقوف الحجيج في عرفة: «**عِبادِي قدْ أتونِي مَحَبَّةً**»، فمَجيؤُهم في هذا الصَّعيد واجتماعهم هو لأجل محبَّة الله ﷻ.

قوله: «**وإنِّي بهمْ بَرٌّ**»: **البَرُّ**: اسم من أسماء الله ﷻ الحُسنى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[الطور:٢٨].

ومعناه: أنَّه الذي شَمَلَ جميعَ خلقِهِ ببِرِّهِ وعطائِه ومَنِّه.

قوله: «**أجُودُ وأرْحَمُ**»: فهذه العَشِيَّةُ عَشِيَّةُ الجُودِ والرَّحمةِ والكَرَمِ والعِتقِ من النَّار، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**ما مِنْ يومٍ أكثَرَ مِن أن يُعْتِقَ اللهُ فيه عَبْدًا من النَّارِ مِن يومِ عَرَفَةَ**»(١).

قوله: «**فأُشْهِدُكُمْ أنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ**»: وهذا مِن صُوَرِ جُودِهِ وكرمِهِ ﷻ في تلك العَشِيَّةِ أنَّه ﷻ يُشْهِدُ الملائكةَ أنَّه قد غفرَ للحَجيجِ جميعَ ذنوبِهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**وأمَّا وُقُوفُك بعرفةَ**

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٣٤٨).

فإنَّ اللهَ ﷻ يَـنزِلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيُباهي بهم الملائكةَ؛ فيقولُ: هؤلاء عبادي جاؤُوني شُعثًا غُبرًا، مِن كُلِّ فَجٍّ عميقٍ، يَرجُون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني؛ فكيف لو رأوني؟! فلو كانَ عليكَ مِثلُ رَمْلِ عالِجٍ[1]، أو مِثلُ أيامِ الدُّنيا، أو مِثْلُ قَطْرِ السَّماء ذُنوبًا غَسَلَها اللهُ عنك»[2].

قوله: «وأعْطيتُهُمْ ما أمَّلوهُ وأَنْعَـمُ»: فمن كَرمِهِ وجودِهِ ﷻ أنَّه سيُعطيهم جميعَ ما أمَّلوه وسألوه، بل ويُنْعِمُ عليهم كذلك بما هو فوقَ ما أمَّلوهُ مِنْ صُنُوفِ العطايا والمِنَنِ ممَّا لم يخطُر لهم ببالٍ، والله سبحانه كريمٌ، واسِعُ العطاءِ والنَّوال.

قوله: «فبُشراكُمُ يا أهلَ ذا المَوقفِ الذِي
به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويَرحـمُ»

يُبيِّنُ رحمه الله أنَّ الحجيجَ في ذلك الموقف العظيمِ في عرفات قد اختُصُّوا ببشارةٍ عظيمة؛ وهي: البِشارةُ بالغفران، والعِتقِ من النيران، والفوزِ بعفوِ الرحمنِ ﷻ.

---

(١) العالج: ما تكاثَرَ مِنَ الرَّملِ ودخلَ بعضُهُ في بعض.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٦٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

وجميع ما تقدَّم من البِشارات والعطايا والمكرمات في ذلك اليوم ممَّا يُحَرِّك قلبَ الحاجِّ ليكونَ في ذلك اليومِ مُخْبِتًا راجِيًا طامِعًا مُؤَمِّلًا، وأن يكون شغله الشاغل في تلك الساعات التوجُّهَ إلى الله ﷻ بالدُّعاء، والإنابة، والإقبال الصَّادق عليه، وأن يُلحَّ على ربِّه ﷻ بأن يَشملَهُ برحمتِه ومغفرتِه للذُّنوب، والعتق من نيرانه في ذلك اليوم العظيم.

قوله: «**فكمْ مِن عتيقٍ فيه كُمِّلَ عِتقُهُ**»: «كم» هنا للتَّكثير، أي: أعدادٌ كثيرةٌ في تلك العشيَّةِ يشملُهم فضلُ الله ﷻ بالعتقِ من النِّيران عِتقًا كاملًا.

قوله: «**وآخَرُ يَسْتَسْعِي**»: يشيرُ الناظِمُ رحمه الله في هذه الجملة إلى أنَّ مِنَ الحَجيجِ مَن لم يستكملوا نيلَ هذا الفضلِ في تلك العَشيَّةِ تامًّا، فعُتِقَ بعضُهم، وهم يستسعُون في عِتْقِ باقِيهم، كحالِ العبدِ المَمْلوكِ الذي عُتِقَ بعضُه فأخَذَ يَستسعِي في تحصيلِ القَدْرِ الذي يُخَلِّص به باقِيه من الرِّقِّ.

قوله: «**وربُّك أرحَمُ**»: فيه: أنَّه سبحانه لطيفٌ بهؤلاء، وأنَّه يُرجى لهم الفوز برحمته.

قوله: «**ومَا رُئِيَ الشيطانُ أغيظَ في الوَرَىٰ**»: يشيرُ النَّاظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الحديث الذي رواه الإمام مالك في «الموطأ» من طريقِ طلحةَ بن عُبيد الله بن كَريز: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما رُئِيَ الشَّيطانُ يَوْمًا هُوَ فيهِ أَصغَرُ ولا أَدْحَرُ ولا أَحْقَرُ ولا أَغْيَظُ منه في يوم عَرَفَةَ وما ذاكَ إِلَّا لِمَا رَأَىٰ مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ، وتجاوُزِ اللهِ عن الذُّنُوبِ العِظامِ؛ إِلَّا ما أُرِيَ يومَ بَدْرٍ**»[1]، وإسنادُ هذا الحديثِ فيه مقالٌ، ولكنَّ معناه وشواهدَهُ ودلائِلَه كثيرةٌ.

وقوله: «**أغيظَ**» يعني: أنَّ الشيطانَ يشتدُّ غيظًا وحَنقًا وغضبًا في ذلك اليوم ممَّا يَرىٰ مِن مغفرةِ الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده، وتنزُّل رحماتِه، وإعتاقه لهم من النار.

وقوله: «**وأَحْقَرَ منهُ عندها، وهو أَلأَمُ**»: أي: يصيرُ الشيطانُ في هذا الموقفِ العظيمِ أحقرَ وأذلَّ وأدحَرَ ما يكونُ.

قوله: «**وذاكَ لأمْرٍ قد رَآه فغاظهُ**»: فالغيظُ الشَّديدُ الذي أصابَ الشيطانَ في ذلك اليوم هو لما رأىٰ من كثرةِ عُتقاءِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١٢٦٩)، وإسناد هذا الحديث ثابتٌ إلىٰ طلحة بن عبيد الله، وهو تابعيٌّ، فحديثه مرسلٌ، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (١/ ١١٦): «معنىٰ هذا الحديث محفوظٌ مِنْ وُجُوهٍ كثيرةٍ».

من النَّار، وكثرةِ غُفرانِ الخطيئاتِ، وإقالةِ العَثَراتِ، والتَّجاوزِ عن الزلَّاتِ -كما سيأتي-.

قوله: «**فأقبلَ يَحثُو التُّرْبَ غَيْظًا، وَيَلطِمُ**»: فصار يحثو الترابَ على رأسِه، ويلطمُ وجهَهُ من شِدَّة الغيظِ.

قوله: «**وما عايَنَتْ عيناه مِن رحمةٍ أتتْ**

ومغفرةٍ مِن عندِ ذي العرْشِ تُقْسَمُ».

ذكر الناظِمُ رحمه الله أنَّ سببَ غيظ الشيطان في ذلك اليوم هو ما يرى من نزول الرَّحمة، ومغفرة الذُّنوب، والعتق من النيران.

قوله: «**مِن عندِ ذي العرْشِ تُقْسَمُ**»:أي: تُفَرَّقُ وتُوَزَّعُ على الحجيج؛ كلٌّ بحسبِه.

قوله: «**بَنَى ما بَنى حتى إذا ظَنَّ أنه**

تمَكَّنَ مِن بُنيانِهِ، فهو مُحْكَمُ»:

يُبيِّن رحمه الله سببًا آخرَ لشِدَّةِ غيظِ الشيطان، وشِدَّةِ حَسْرَتِهِ وحنَقِهِ وحُرقَتِهِ؛ وهو أنَّ الشيطان قد حَرَصَ على إضلال هؤلاء النَّاس وإغوائهم لسنين عديدة، وإيقاعهم في كبائرِ الذُّنوبِ والآثامِ مدَّةً طويلة، وهو يَبْني فيهم تلكَ الذُّنوبَ ويُزيِّنها لهم؛ بالوسوسةِ

والإغراء حتىٰ ظَنَّ أنه أحكمَ بُنْيَانَه بإبعادهم عن التوبةِ وأسبابِ مغفرةِ الله ﷻ ورحمتِه.

قوله: «**أَتَىٰ اللهُ بُنيَانًا له مِن أساسِهِ**

فخرَّ عليه ساقِطًا يتهدَّمُ»:

فجميعُ مَن وقفَ من الحجيجِ في تلك العشيَّةِ ونادىٰ ربَّهُ بصِدْقٍ وإنابةٍ، وتوبةِ نصوحٍ؛ فإنَّ ربَّ العالمين وعدَهُم بمغفرة الذُّنوب، والعتقِ مِنَ النَّارِ، والله ﷻ لا يُخْلِفُ الميعادَ.

فبهذه الرَّحمةِ والمغفرةِ والعَطايا التي تنزَّلتْ علىٰ أهل هذا الموقف العظيم؛ يتهدَّمُ ويَخِرُّ كلُّ ما بناه الشيطانُ، ولا يبقىٰ منه صغيرٌ ولا كبيرٌ.

قوله: «**وَكمْ قدْرُ ما يعلو البناءُ ويَنْتهي**

إذا كان يَبْنِيهِ وذو العرش يَهدِمُ»:

أي: وماذا سيكون ما بناهُ الشيطان وشيده من الإضلال والوسوسة والإبعاد عن الله تعالىٰ، لحِقدِهِ الشَّديدِ وعداوتِهِ لبني آدم، وحِرصِهِ علىٰ إغوائهم وإدخالهم النَّار السنين الطويلة؟! فقد كان يجهد في هذا البناء «**وذو العَرْشِ يَهدِمُ**»: بأن يَغفرَ الذنوبَ

جميعًا، ويُبطلَ كيدَ الشيطان؛ وذلك في لحظةٍ واحِدةٍ؛ إذا صدقَ العبدُ في الالتجاء والإنابة والتَّوبة إلى الله ﷻ.

وفي هذه الأبيات من الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بيانٌ جَليٌّ لسَعَةِ رَحْمةِ الله ﷻ وقُربِها مِن أَهْلِ ذلك المَوقف، فينبغي للحاجِّ أن يتعرَّضَ لها في تلك السَّاعةِ، وأن يحرصَ أشدَّ ما يكونُ على استغلالِ دقائقِ هذا اليوم بالتَّضرُّع والابتهال ومناجاة ربِّه ﷻ.

قال عبدُ الله بنُ المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «جئتُ إلى سفيانَ الثَّوريِّ عَشِيَّةَ عَرَفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناهُ تهملان، فبكيتُ فالتفتَ إليَّ فقال: ما شأنك؟ فقلتُ: مَنْ أسوأُ أهْل هذا الجَمْعِ حالًا؟ فقال سفيانُ: الذي يظُنُّ أنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ لهم»[(١)].

ووقفَ الفُضَيلُ بنُ عِياض رَحِمَهُ اللَّهُ بعرفة، فنَظَرَ إلى نَشِيج[(٢)] النَّاس وبكائِهم عشِيَّة عرفة، فقال: «أرأيتمْ لو أنَّ هؤلاء صاروا إلى رجلٍ فسألوهُ دانِقًا[(٣)]، أكان يَرُدُّهم؟ قالوا: لا، قال: والله، للمَغْفرةُ عند الله أهونُ مِنْ إجابةِ رجلٍ لهم بِدانِق»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص٩٢).

(٢) **النَّشيج**: هو الغصُّ بالبُكاء في الحلقِ دون أن ينتَحِبَ أو يرفع صوته به.

(٣) **الدانق**: هو سُدُس الدِّرهم، وعبَّر به لبيان قلَّة المطلوب وهوانه.

(٤) «مجلسٌ في فضل يوم عرفة» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص٦٣).

ومِنَ المُؤْسِف أنَّ عددًا من الحَجِيج لم يَقُم في قلبِهِ هذا الرَّجاء وهذا الأمل، ولم يَجْمَعْ همَّتَهُ على تحصيل الرَّحمة ونيل هذه المغفرة، فتراهُ ينشغلُ في تلك السَّاعات الفاضلة بهاتِفِهِ، ويقضي العديد من الأوقات في التنقُّل بين المواقع والصَّفحات، وأَخْذِ الصُّورِ التِّذكارية، أو ينشَغِلُ بالحديثِ مع هذا وذاكَ، فتفوتُهُ هذه السَّاعات المباركة من عَشِيَّةِ يوم عرفة وهو غافِلٌ لاهٍ.

فالحاجُّ المُوَفَّقُ من استغلَّ هذا الوقتَ الفاضلَ، وأخلصَ الدُّعاء، وأَعظمَ الرَّغبةَ؛ فنالتهُ رحمةُ الله ﷻ، وكُتب من العتقاء من النَّار، ورجعَ من حَجِّهِ كيومَ ولدتْهُ أمُّه؛ بلا ذنبٍ ولا خطيئةٍ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وراحُوا إلىٰ جَمْعٍ فباتُوا بمَشعَرِ الْـ
ـــحَرَامِ وصَــلَّوُا الفَجْرَ ثمَّ تقدَّموا

إلىٰ الجَمْـرةِ الكُبرَىٰ يُريدون رَمْيَها
لوقتِ صـــلاةِ العيدِ، ثمَّ تيَمَّمُـــوا

منازِلَهمْ للنَّحْرِ؛ يَبغونَ فضلَهُ
وإحياءَ نُسْـــكٍ مِن أبيهمْ يُعَظَّـــمُ

فلوْ كان يُرضِي اللهَ نَحْرُ نفوسِهمْ
لـدانُوا بـهِ طوْعًـا، وللأمرِ ســلَّمُوا

كما بَذلُوا عندَ الجِهادِ نُحورَهُمْ
لأعـدائِـهِ حتَّـى جرَىٰ منـهـمُ الـدَّمُ

ولكنَّهمْ دانُـوا بوضْعِ رؤوسِهمْ
وذلِـكَ ذلٌّ لـلـعـبيـدِ ومَيْسَـــــمُ

بعد أن فرغَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيانِ ما يتعلَّق بوقوف الحجيج في عرفات شرعَ يبيِّنُ ما يتعلق بنُفرةِ الحجيجِ إلىٰ مزدلفة؛ وهي المَشْعَرُ الحرام، وذلك بعد غروب الشَّمسِ من عَشِيةِ يومِ عرفةَ.

قوله: «**وراحُوا إلى جَمْعٍ**»: **وجَمْعٌ**: من أسماء مزدلفة، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّهم يجمعون فيها بين صلاتي المغربِ والعشاءِ، ولأنَّ المسلمين يجتمعون فيها تلك الليلة.

قوله: «**فباتُوا بمَشعَرِ الْحرامِ**»: أي: ناموا تلك الليلةَ بمزدلفة، ومِن أسمائها أيضًا: **المَشْعَرُ الحرام**؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة:١٩٨].

والمَشْعَرُ: هو المكان المُعظَّم، وسمِّيت مزدلفة بذلك؛ لأنَّها في داخل حدود الحرم؛ لتقابل تسميةَ عَرَفةَ بالمَشْعرِ الحَلال؛ لأنَّها خارج الحرم.

قوله: «**وصَلَّوُا الفجْرَ ثمَّ تقدَّموا**»: فبعدَ مَبيتهم بمزدلفة، استيقظوا وصلوا الفجرَ فيها، ثمَّ بعدَ صلاة الفجرِ قاموا مُسْتَقبلين القِبلةَ يذكرون الله ﷻ، ويدعُونَه، ويُلِحُّونَ عليه بالطَّلب إلى أن يحصُلَ الإِسْفارُ، فينطلِقُون ويدْفعون إلى مِنى قبل أن تطلعَ الشمس.

قوله: «**إلى الجَمْرةِ الكُبرَى يُريدون رَمْيَها لوقتِ صلاةِ العيدِ**» أي: ينطَلِقُون من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلى مِنى؛ ليرموا

جمرةَ العقبة الكبرىٰ في يومِ العيد، وهو يوم الحجِّ الأكبر؛ العاشر من ذي الحجَّة.

قوله: «**ثمَّ تيَمَّمُوا منازلَهمْ للنحْرِ**»: أي: ذهبوا بعد رَمْيِهم لجمرة العقبة الكُبرىٰ إلىٰ منازلهم في مِنىٰ لنحْرِ الهَدْي فيها.

قوله: «**يَبغونَ فضلَهُ**»: أي: يَرجُونَ فَضْلَ التَّقرُّبِ إلىٰ الله ﷻ بذَبْحِ الهدايا في هذا اليومِ العظيمِ، ويُسمَّىٰ (يوم النَّحر)؛ لكثرة ما يُذبحُ فيه وينحر من بهيمة الأنعام تقربًا للهِ.

قوله: «**وإحياءَ نُسُكٍ**»: فيُحْيُون هذه العِبادة العظيمة؛ وهي: الذَّبيحَةُ، وتُسمَّىٰ (النَّسِيكةُ)؛ قربانًا لله وَحْدَهُ؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

قوله: «**مِن أبيهمْ يُعَظَّمُ**»: أي: فعلوا هذه العبادة أُسوةً واقتداءً بأبيهم إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]؛ أي: رزقناهُ ما يذبحُ بدلًا عن إسماعيلَ عليه السلام، وفداءً له كبشًا عظيمًا متقبلًا، ثُمَّ صار سُنَّة في عَقِبِه إلىٰ يوم القيامةِ يُتقرب به إلىٰ الله جل جلاله، ويُدْرك به ثوابُه ورضاه.

قوله: «فلوْ كان يُرضِي اللهَ نَحْرُ نفوسِهِمْ
لدانُوا بهِ طوْعًا وللأمرِ سلَّمُوا».

يُبيِّنُ الناظِمُ رحمه الله حالَ الحجيجِ في هذه المشاهدِ العظيمةِ، وأنَّهم لو أُمِروا بأن يَنحروا نفُوسَهم تقرُّبًا إلى الله ﷻ، بَدَلَ بهيمة الأنعام لبادروا لِفِعْلِ ذلك؛ طلبًا لرضى ربِّ العالمين ﷻ، وطَمَعًا بعفوِهِ وغفرانِهِ لذنوبهم، وإقالتِه عثراتِهم، كما كان هذا في بني إسرائيلَ؛ حيثُ كان من شرطِ قبولِ التَّوبةِ فيهم أن يقتُلوا أنفسَهم، كما قال تعالى: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:٥٤]، وكان هذا علامةً على صِدْقِ التَّوبة والإنابةِ إلى الله ﷻ.

فكذلك هذه الأُمَّةُ الخَيِّرةُ؛ لو أنَّ الله أمرَهُم بنَحْرِ نفُوسِهم لبادروا لِفِعْلِ ذلك طواعيةً وامتِثالًا، ولكنَّ الله ﷻ رَحِمَ هذه الأُمَّة، ولم يَجْعلْ توبَتَهم بقَتْلِ نُفُوسهم، وإنَّما شرعَ لهم هذه الذَّبيحةَ يوم العيدِ تقرُّبًا إليه، فقدَّموا هذه القرابينَ لله ﷻ طيِّبةً بها نفُوسُهم.

والنَّاظِمُ رحمه الله يُبيِّن هنا حال المؤمنين الذين تمكَّن الإيمانُ في قلوبِهم، وامتلأتْ قلوبُهم بالصِّدقِ والإقبالِ والإخباتِ لله ﷻ.

وأمَّا مَن ضَعُفَ الإيمانُ في قلبه فحالُهُ على النَّقِيضِ من ذلك؛ فتَجِدُه يَسْتَثْقِلُ شراء الهَدْيِ، وقد يُجادِلُ في التَّخَلُّص منه، ويَجِدُه حِملًا وعِبئًا على ظَهْره، ففرْقٌ بين مَن هذا حالُهُ، وبين المؤمنِ قَوِيِّ الإيمان -كما تقدَّم-.

قوله: «كما بَذلُوا عندَ الجِهادِ نُحورَهُمْ

لأعدائِهِ حتَّى جرَى منهمُ الدَّمُ»:

هذا البيتُ تأكيدٌ لِما ذكرَه الناظمُ رحمه الله في البيت السابقِ؛ فالمؤمنون المُتَّقون قد بذلوا نُفُوسَهم في سبيلِ اللهِ عند الجهاد، واشتروا بها ما عِندَ الله ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]؛ فإذا كان هذا حالُهم فما الذي يمنعُهم أن يبذُلُوا نفُوسَهُم في هذا الوقت إذا كان اللهُ يرضى لهم ذلك وأمرَهُم به؟!

قوله: «ولكنَّهمْ دانُوا بوضْعِ رؤوسِهمْ»: أي: خَضَعُوا وذَلُّوا للهِ ﷻ؛ «بوَضْعِ رؤوسِهم» حينما مكَّنُوا رؤوسَهم للحَلقِ أو التَّقصيرِ في ذلك اليوم؛ تقرُّبًا لله ﷻ وانكِسارًا وخُضوعًا وطَلبًا لرضاه.

قوله: «وذلِكَ ذلٌّ للعبيدِ ومَيْسَمُ»: فوَضْعُ الرؤوسِ وإزالةُ ما عليها من الشَّعْرِ علامةٌ ودِلالةٌ على صِدْقِ الخُضوعِ، وتمامِ الذُّلِّ بين يدي الله ﷻ.

قال الإمامُ ابنُ القيم رحمه الله:

ولمَّا تقضَّـوْا ذلكَ التَّـــفَثَ الذي
عليهمْ، وأوْفَوا نـذرَهُمْ، ثمَّ تَمَّمُوا
دعـاهُم إلىٰ البيـتِ العتيقِ زيـارةً
فـيـا مـرحَـبًـا بـالـزَّائِـريـنَ، وأكـرمُ
فـلِـلَّـهِ مـا أبْـهَـىٰ زيـارتَـهُـمْ لـهُ!
وقدْ حُصِّـلتْ تلكَ الجَوائزُ تُقْسَـمُ
ولله أفضـــالٌ هـنـاكَ ونِـعْـمَـةٌ
وبِـرٌّ وإحْسَـــانٌ وجُـودٌ ومَـرْحَـمُ

قوله: «ولمَّا تقضَّوْا ذلكَ التَّفَثَ الذي عليهم»: أي: أزالُوا التَّفثَ؛ وهو: الوَسَخُ والأذىٰ الذي لحقهم في حال الإحرام؛ وذلك أنَّ الحجيجَ في يوم النَّحرِ بعدَ رَميهم جمرةَ العقبةِ، ثُمَّ نَحْرِهم للهَدي؛ يكون منهم قَضاءُ التَّفث؛ بحَلْقِ شعر الرأسِ أو تقصيره وهذا مِن أَنساك الحجِّ، والأخذِ من الشَّاربِ، وقَصِّ الأظفارِ، وإزالةِ شعرِ العانة إن احتاج ذلك، ثمَّ يكون منهم

الاغتِسالُ والتَّطيُّبُ استِعدادًا للطوافِ بالبيتِ العتيقِ؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩].

وقالت أُمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضي الله عنها: «كنتُ أُطيِّبُ رسولَ اللهِ ﷺ لإحرامِهِ قبلَ أن يُحرِمَ، ولِحِلِّهِ قبلَ أن يَطوفَ بالبيتِ»(١).

قوله: «**وأوفَوا نذرَهُمْ**»: أي: يوفُون ما نذروا فِعْلَهُ في الحجِّ من الطَّاعات؛ من نَحر الهَدي وغيره.

قوله: «**ثمَّ تَمَّمُوا**»: أي: تمَّموا وكمَّلوا جميعَ الأعمالِ المتقدِّمة، واستعدُّوا لطوافِ الإفاضة.

قوله: «**دعاهُم إلى البيتِ العتيقِ زيارةً**»: وهذا هو **طوافُ الإفاضة**، وهو رُكْنٌ من أركان الحجِّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩].

ويُسَمَّى أيضًا: **طوافَ الحجِّ**، ويُسَمَّى: **طوافَ الزِّيارة**، ولهذا جاء الناظِمُ رحمه الله بهذه التَّسميةِ فقال: «**زيارةً**».

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٥٣٩)، ومسلمٌ في «صحيحه» (١١٨٩).

قوله: «**فيا مرحَبًا بالزائِرين وأكرمُ**»: يَصِفُ الناظِمُ هذا المشهدَ العظيمَ ويُشبِّهُ الحجيجَ بالوفدِ الزائر لبيت الله تعالى، وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الحُجَّاجُ والعُمَّار وَفْدُ الله؛ دعاهم فأجابوهُ، وسَألوهُ فأَعطاهم**»[1].

فبعد أنْ كَمَّل الحجيجُ ما تقدَّم من أنواع العبادات، والمواقف المباركة، والأحوال الطَّيبة، وصِدق التضرُّع والتَّذلُّل لله تعالى؛ حصَلتْ هذه الزِّيارةُ منهم بعد ذلك لهذا البيت العظيم؛ فلا شكَّ أنَّهم أهْلٌ للتَّرحيب والإكرامِ.

قوله: «**فلِلَّهِ ما أبْهَى زيارتَهُمْ لهُ!**»: فما أجملَها! وما أحسنَها! وما أكملَها! وما أعظمَها من زيارةٍ كريمةٍ.

قوله: «**وقدْ حُصِّلتْ تلكَ الجَوائز تُقْسَمُ**»: فينالُون الجوائِزَ الثمينةَ، والمَكْرُمات العظيمةَ؛ من تحقُّق الغفران، والعتقِ من النِّيران، والفوزِ بالرِّضوان، من الله الجَوادِ البَرِّ الرَّحيم ﷻ؛ كما قال الناظمُ رحمه الله في البيت التالي:

---

(١) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١١٥٣)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٢٠).

وللهِ أفضالٌ هناكَ ونِعْمَةٌ

وبِرٌّ وإِحْسَانٌ وجُودٌ ومَرْحَمُ

أي: له ﷻ هناك جُودٌ وبِرٌّ ومِنَنٌ متنوعةٌ، وأفضالٌ عديدةٌ؛ يُفيضُ بها على العبادِ، ورحمةٌ منه تغمُرُهم وتشملُهُم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وعادُوا إلى تلكَ المنازلِ مِن مِنًى
ونـالُوا مُنـاهُمْ عنـدَهـا وتَنَعَّمُـــوا

أقامُـوا بها يومًا ويومًا وثالثًا
وأُذِّنَ فِيهِمْ بالرَّحيـــلِ وأُعْلِمُـــوا

وراحُوا إلى رمْيِ الجمارِ عَشِيَّةً
شعارُهُمُ التَّـكْبـيرُ، واللهُ معْـهُـمُ

فلو أَبْصرَتْ عيناكَ موقفَهمْ بها
وَقدْ بسَطوا تلكَ الأكُفَّ لِـيُرْحَمُوا

ينادونَهُ: يا ربِّ! يا ربِّ! إننا
عـبيدُكَ لا ندْعو سِـواكَ وتَعْلَـمُ

وها نحنُ نرجو منكَ ما أنتَ أهلُهُ
فـأنـتَ الـذي تُعْطِي الجزيـلَ وتُنْعِمُ

ولمَّا تقضَّوْا مِن مِنًى كلَّ حاجةٍ
وسـالتْ بهمْ تلكَ البِطاحُ تقدَّمـــوا

إلى الكعبةِ البيتِ الحَرامِ عشيةً
وطافُوا بها سبْعًا وصَلَّوْا وسَلَّمُـــوا

وَلَمَّا دَنَا التَّوْدِيعُ مِنْهُمْ وَأَيْقَنُوا
بِأَنَّ التَّدَانِي حَبْلُهُ مُتَصَرِّمُ

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ لِمُوَدِّعٍ
فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجَّمُ

وَلِلَّهِ أَكْبَادٌ هُنَالِكَ أُودِعَ الْـ
ـغَرَامُ بِهَا؛ فَالنَّارُ فِيهَا تَضَرَّمُ

وَلِلَّهِ أَنْفَاسٌ يَكَادُ بِحَرِّهَا
يَذُوبُ الْمُحِبُّ الْمُسْتَهَامُ الْمُتَيَّمُ

فَلَمْ تَرَ إِلَّا بَاهِتًا مُتَحَيِّرًا
وَآخَرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرَنَّمُ

رَحَلْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيمَةٌ
وَنَارُ الْأَسَى مِنِّي تَشُبُّ وَتَضْرُمُ

أُوَدِّعُكُمْ وَالشَّوْقُ يَثْنِي أَعِنَّتِي
وَقَلْبِيَ أَمْسَى فِي حِمَاكُمْ مُخَيِّمُ

قوله: «وعادُوا إلى تلكَ المنازلِ مِن مِنًى

ونالُوا مناهُمْ عندَها وتَنَعَّمُوا»:

فبعد أن أكملَ الحُجَّاجُ هذا الرُّكنَ العظيمَ من أركان الحجِّ؛ وهو: طوافُ الإفاضة بالبيت الحرام، وكذلك السَّعيُ بعدَه في حَقِّ المتمتع والقارن إذا لم يَسْعَ بعد طوافِ القُدوم؛ فبعدَ هذه العبادةِ الجليلةِ، والفوزِ بالعطايا الجَزيلةِ، يرجِعُ الحَجيجُ إلى منازلِهم وخِيامهم في مِنىً؛ وقد ظفروا بالمُنَى، وفازوا بما أمَّلوه وطَمِعوا به من النَّعيم، يرجعون لاستِكمالِ بقيَّةِ أعمال الحجِّ المباركة.

قوله: «أقامُوا بها»: أي: في منًى.

قوله: «يومًا ويومًا وثالثًا»: وهذه أيامُ التَّشريقِ الثلاثةِ التي قال تعالى فيها: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾[البقرة:٢٠٣]، فيُقيمون ويَبيتون في منًى، ويرمون في كلِّ يومٍ الجمرات الثلاث بعد زوال الشَّمس.

قوله: «وثالثًا»: هذا هو الأفضلُ والأكملُ؛ البقاء في منى ثلاثةَ أيَّام بعد يوم النَّحر كما فعله النَّبيُّ ﷺ، ولو تعجَّل وغادرَ بعد بقائه في منًى يومين فلا حرجَ.

قوله: «**وأُذِّنَ فِيهِمْ بالرحيلِ وأُعْلِمُوا**»: فبقضائهم أعمال هذه الأيام الثلاثة يكون الحجيجُ قد أنهوا أعمال الحجِّ كاملة، ويبقىٰ عليهم طوافُ الوداع للمغادرة والانصراف.

قوله: «**وراحوا إلىٰ رمْيِ الجِمارِ عَشِيَّةً**»: فمِنْ أعمالهم في أيام التَّشريق: رمي الجِمارِ الثلاثةِ في عشيَّتها بعد الزَّوال.

قوله: «**شعارُهُمُ التَّكْبيرُ**»: فيُكبِّرون الله ﷻ في هذه الأيام الثلاثة، ولا يُلبُّون؛ لأنَّ التَّلبيةَ قد انقطعتْ برمي جَمرة العقبة يوم العيد.

قوله: «**واللهُ معَهُمُ**»: أي: بحِفْظِهِ وتأييدِه وتَسْدِيدِه وعونِه وتوفيقِه؛ وهذه المعيَّةُ معيَّةٌ خاصَّةٌ تكون للمؤمنين والصالحين دون غيرِهم.

قوله: «**فلو أبصَرَتْ عيناكَ موقفَهمْ بها**»: يَصِفُ الناظِمُ رحمه الله في هذه الأبيات موقفَ الحَجِيجِ حينَ رَمْي الجِمار في أيام التَّشريق، ودعاءَهم بعد الرَّمي؛ وهو المشروع للحاجِّ بعد رميه الجمرةَ الصُّغرىٰ أن يتجاوزَها قليلًا، ثُمَّ يَقِفَ طويلًا، ويستقبلَ القبلةَ، ويدعو ويتضرَّعُ إلىٰ الله ﷻ، ويفعل مثلَ ذلك بعد رمي

الجمرة الوُسطىٰ أيضًا، وأمَّا جمرةُ العقبة فيرميها وينصرفُ، ولا يقف بعدها للدعاء.

قوله: «**وَقَدْ بسَطوا تلكَ الأكُفَّ لِيُرْحَمُوا**»: أي: رفعوا ومدُّوا أيديَهم يدعون الله ﷻ ويطلبونَ رحمته.

وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ في فَضْلِ رَفْعِ الأيدي عند الدُّعاءِ قوله: «**إِنَّ رَبَّكم حَيِيٌّ كريمٌ يستَحْيِي مِن عَبْدِهِ إذا رفعَ يَدَيه إليهِ أن يَرُدَّهُما صِفْرًا**»[1]، أي: خائبتين.

وقول الناظِمِ رَحِمَهُ اللهُ: «**وَقَدْ بسَطوا تلكَ الأكُفَّ لِيُرْحَمُوا**»: فيه تنبيهٌ بليغٌ للحُجاجِ في هذه المواقِف العظيمةِ؛ أنْ يكون مَقصدهم بأدائها طلبَ رحمةِ الله وغفرانه ورِضوانه، وليس لأجلِ المُراءاةِ والشُّهرة، وإنَّ ممَّا يُؤسَفُ لهُ انشِغالَ عددٍ من الحُجَّاج في هذا الموطن وغيره من المشاعِرِ بالتَّصويرِ، بل قد يتعمَّدُ بعضهم التقاطَ صورةٍ له وهو يتظاهَرُ بالدُّعاء ثم يرسلها للناس ليروه.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (١٤٨٨) واللفظ له، والترمذي في «جامعه» (٣٥٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٧٨).

فهذا قد فعلَ العبادةَ ليُرائي بها الناس، ولم يجعلها خالصةً لله ﷻ، وقد صحَّ في الحديث القُدسي قول الله ﷻ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

قوله: «يناديه: يا ربِّ! يا ربِّ!»: فيدعونَ ربَّهم عند الجمراتِ، ويتوسَّلون إليه بربوبيَّتِه، ويُلِحُّون بالدعاء، ويُكرِّرون الطَّلب، وليس المقصودُ أن يقول هذه الكلمة: «**يا ربِّ**» مرتين، بل المرادُ الإلحاحُ بالدعاء والطلبِ والتَّوسُّل إلى الله ﷻ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يديه إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ!**»[2].

ولذلك لا ينبغي للمُسْلمِ أن يَملَّ من كثرة الطَّلبِ والإلحاحِ على الله ﷻ بالدُّعاء، فمَن أكثَرَ طرقَ البابِ أوشك أن يُفتحَ له، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**يُسْتَجابُ لأحدِكم ما لم يَعْجَل؛ يقول: دَعَوْتُ فلم يُسْتَجَبْ لي**»[3].

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٥).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٣٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٣٥).

قوله: «**إنَّنا عبيدُكَ لا ندْعو سِواكَ**»: فمقامُ العبودية لا يجوزُ فيه إلا الإخلاصُ لله ﷻ، فالدعاءُ والإنابةُ والاستغاثةُ به وحدَهُ لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

ومِن شنيعِ ما يقعُ مِن بعضِ من يحجُّ إلىٰ بيتِ الله الحرام أن يتوجَّهَ إلىٰ غير الله ﷻ بالدعاء والطَّلبِ، فيقول: «مدَدْ يا فلان»، ونحوَها من العبارات الشِّركية، التي تُناقِضُ أصلَ التوحيد، وتَهْدِمُ دينَ الإسلامِ، وتُحبِطُ عملَه، والعياذ بالله.

قوله: «**وتَعْلمُ**»: أي يعلمُ ﷻ حالنَا ودُعاءَنا ورجاءَنا، لا تخفىٰ عليه خافية، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غافر:١٩].

قوله: «**وها نحنُ نرجو منكَ ما أنتَ أهلُهُ**
فأنتَ الذي تُعْطِي الجزيلَ وتُنْعِمُ».

فالحاجُّ في هذه المشاهِدِ العظيمة والمواقِفِ الفضيلة ينبغي أن يُغلِّبَ جانِبَ الرَّجاء والرَّغبةِ في فضل الله ﷻ ورحمته وغفرانِه، وألَّا يستحضرَ كثرةَ ذُنوبِهِ ويجعلَها سببًا لقُنوطِهِ ويأسِهِ من رحمةِ

ربِّه ﷻ، بل يَسْتَحْضِرُ عِظَمَ رحمةِ الله وكثرةَ مَنِّه على العبادِ في هذه المواطن؛ فإنَّ اللهَ ﷻ يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، والله ﷻ أهلُ التَّقوى وأهلُ المغفرةِ، ولا يُخَيِّبُ من ناجاهُ، ولا يُرُدُّ من دعاه.

قوله: «**ولمَّا تقضَّوْا مِن مِنًى كلَّ حاجةٍ**»: أي: أدَّوا ما عليهم من الواجبات، وأتمُّوا أعمال الحجِّ، وأكملوا كلَّ حاجاتِهم؛ من أنواع التعبُّدِ والتذلُّلِ والانكسارِ لله ﷻ، متأسِّين في أداء حجِّهم بالرسولِ الكريمِ ﷺ، حريصين على الإتيان بالعبادة تامَّةً كما شرعها الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وبعضُ النَّاس قد يُلبِّسُ عليه الشَّيطانُ ليُبطِلَ عليه حجَّه أو يُنقِصَ أجرَهُ فيه، فيُزيِّنُ له تركَ بعض أعمالِ الحجِّ أو التَّساهل فيها؛ فيبحثُ في طُرُقِ اختِصار الحجِّ، واختِزالِ أعماله وواجِباته، فلا تكونُ همَّتُهُ أن يؤدِّي العبادةَ تامَّةً كما شرعها اللهُ ﷻ وأحبَّها لعِبادِهِ، وإنَّما همَّتُهُ الخلاصُ من الحجِّ في أسرعِ مدَّة، رُغْمَ أنَّ الحجَّ أيَّامُهُ قلائل، ولا يَجِبُ في العُمرِ إلَّا مرَّةً واحِدة!

ففرقٌ بينه وبين المتَّقين الذين أشار إليهم النَّاظِمُ رحمه الله آنفًا، الذين حَرِصُوا على تمامِ حجِّهم وكمالِهِ، واستيفاء أركانه وواجباته ومُستحبَّاته على ما سنَّهُ لهم رسولُ الله ﷺ.

قوله: «**وسَالَتْ بهمْ تلكَ البِطاحُ**»: يشيرُ رحمه الله إلى النُّزُول في المُحَصِّب؛ وهو: الأَبْطحُ، وذلك بعد الخروجِ مِنْ مِنىً، وأنه يَسِيلُ بهم؛ أي: يَمْتَلِئُ بالحُجَّاج، وهو ليس من المناسِكِ التي تَلْزَمُ، وإنَّما فيه اقتداءٌ بالنبيِّ ﷺ.

فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا رَمَى الجِمار يومَ الثَّالث عشر بعد الزَّوالِ تقدَّم إلى (الأَبطحِ)، فنزلَ بِه، وصلَّى به الظُّهرَ والعَصرَ، والمغرِبَ والعِشاءَ.

ثُمَّ رَكِبَ في أثناءِ اللَّيلِ إلى مكةَ لطوافِ الوداعِ، فطافَ آخِرَ اللَّيلِ طوافَ الوداع، ثُمَّ صلى بالنَّاس الفجرَ، وقرأ فيها بـ«الطُّور».

ثُمَّ بعدما انتهى مِنْ صلاةِ الفَجرِ توجَّه إلى المدينةِ، صَباح يومِ الأربعاءِ الرابع عشر مِن ذِي الحِجَّة.

وبهذا انتهتْ أعمالُ الحَجِّ بطوافِ الوداعِ.

وقول عائشة رضي الله عنها: «نُزولُ الأَبطحِ ليس بسُنَّةٍ»، وقولُ ابنِ عباس رضي الله عنهما: «ليسَ التَّحصيبُ بشيءٍ»[1]؛ إنَّما يعنيان: أنَّه ليس مِنَ المناسِكِ التي يَلْزَمُ بتَركِها دَمٌ ولا غيرُه[2].

قوله: «**تقدَّموا إلى الكعبةِ البيتِ الحَرامِ عشيةً وطافُوا بها سبْعًا**»: أي: بعد ذلك سار الحجيجُ وتقدَّموا إلى البيت الحرامِ لأجل طوافِ الوداع، فكيفَ ستكونُ لحَظَاتُ الوَداعِ؟! لا شكَّ أنَّها مشاعِرُ مليئةٌ بالحُزن وألمِ الفِراق، كما سيُبيِّنُ الناظم رحمه الله بعضَ ذلك في الأبيات التالية.

قوله: «**وصَلَّوْا وسَلَّمُوا**»: أي: صَلَّوا الركعتين بعد الطوافِ، ثمَّ سَلَّمُوا من هاتين الركعتين.

قوله: «**ولمَّا دَنا التَّوْدِيعُ منهمْ وأيقنُوا**

بأنَّ التَّدَانِي حَبْلُهُ مُتَصَرِّمُ

ولمْ يبقَ إلا وقفةٌ لِمُوَدِّعٍ

فلِلهِ أجفانٌ هناكَ تُسَجَّمُ»:

---

(١) أخرجهما مسلمٌ في «صحيحه» (١٣١١-١٣١٢).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم» للقرطبي (٣/ ٤١١).

يصفُ الناظم رحمه الله مَشْهدَ الوداعِ حينما يقضي الحجيجُ طوافَ الوداع، وينظرون إلى البيت الحرام نظرةً أخيرةً قبل الانصرافِ والمغادرة، وهم في غايةِ الفَرَحِ والسَّعادة بعظيمِ فضلِ الله ﷻ ونعمته عليهم؛ بتوفِيَةِ مناسك الحجِّ وتيسيرها لهم، وغاية الحزنِ والألمِ لفراقِ البيتِ وتوديعِ هذه المشاعرِ؛ فحينها سالت دُموعُهم وانهمرت على جُفُونِهم.

قوله: «**ولله أكبادٌ هنالِكَ أُودِعَ الـ**

ـغرامُ بها؛ فالنارُ فيها تَضَرَّمُ

ولله أنفاسٌ يَكادُ بِحَرِّها

يذوبُ المُحِبُّ المُسْتَهامُ المُتَيَّمُ»:

ما زال الناظِمُ رحمه الله مُستَمِرًّا في وَصْفِ مَشْهَدِ وداع الحجيج للبيت الحرام؛ وحُرْقةِ فِراقهم لهذه المقامات والشَّعائر الكريمة، فكأنَّ النِّيران قد اشتعلت في كُبودِهم، وكأنَّ قلوبَهم تذوبُ من شِدَّةِ الأمرِ عليهم حين المغادرةِ والوداع.

قوله: «**فلمْ ترَ إلا باهِتًا مُتَحَيِّرًا**»: أي: إذا نَظَرتَ وفتَّشْتَ هؤلاء الحجيجَ فلن تَرَ عينُكَ إلا رجلًا قد أُصيبَ بالحَيرةِ والبَهْتِ

من صُعوبة فراق هذه الأرض المباركة، وهو يستحْضِرُ لذَّةَ العبادة فيها، وحلاوةَ المناجاةِ والتضرُّع لله ﷻ.

قوله: «**وآخَرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَترَنَّمُ**»: أي: وترى آخرَ يبدي حزنه وألمه فلا يملك نفسه من البكاء.

وفي «الصحاح» للجَوْهريِّ: «الرَّنَمُ بالتحريك: الصَّوتُ، وقد رَنِمَ بالكسرِ وتَرَنَّمَ؛ إذا رجَّع صوتَه»[1].

ومن يقارِنْ بينَ هذه الحالِ التي صوَّرها المؤلفُ رحمه الله وحالِنا اليومَ يجدِ الفرقَ العظيمَ والبونَ الشاسِعَ، والله المستعان.

وقوله: «**رَحَلتُ وأشْواقِي إليكمْ مُقِيمَة**

ونارُ الأسَى مِنِّي تَشُبُّ وتَضْرِمُ

أوَدِّعُكُمْ والشوقُ يُثنِي أعِنَّتِي

وقلبيَ أمْسَى فِي حِماكُمْ مُخَيِّمُ»:

أي: أودِّعُكم على هذا الحالِ في غايةِ الشَّوقِ، بل يكادُ الشَّوقُ يمنعني من الرَّحيلِ، إلا أني أرحَلُ ببدَني؛ وقلبِي باقٍ في حِماكُم، مُقِيمٌ لم يَرْحَل.

---

(١) «الصحاح» (٥/ ١٩٣٨).

وبهذا يتمُّ المقصود من التعليق على أبيات الحجِّ من القصيدة الميمية المباركة، ونسألُ اللهَ ﷻ أن يجزيَ الإمامَ ابن القيِّم خير الجزاء على نُصحِهِ وإرشادِهِ وجهادِه ودعوتِه، وأن يرفعَ درجاته في عليِّين.

ونسأله ﷻ أن ينفعنا بما عَلَّمَنَا وأن يزيدَنا علمًا، وأن يوفقنا جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يهدِيَنا، وأن يهديَ بنا، ويهديَ لنا، وأن يُيَسِّر الهدىٰ لنا، وأن لا يكلَنا إلىٰ أنفسِنا طرفةَ عِينٍ.

والله أعلم، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدِّمة	٣
إحرام الحجيج بالحجِّ، والبدء بالتَّلبية	٥
سفرُ الحجيج من أوطانهم إلىٰ بيت الله الحرام	١٢
وُصول الحجيج للبيت الحرام ورؤيتُهم للكعبة المشرَّفة	١٦
وقوفهم بعرفات في التاسع من ذي الحجة	٢٢
ذهابهم إلىٰ مزدلفة ومبيتهم بها، ثم انطلاقهم في فجر يوم العيد لرمي جمرة العقبة، وذبح الهدي	٣٦
تحلُّلُهم من إحرامهم، وذهابهم لطواف الإفاضة	٤٢
رجوعهم إلىٰ منى، ومبيتهم فيها أيام التشريق، ثم طوافهم للوداع، وانقضاء حجِّهم	٤٦
فهرس	٥٩

مكتب إتقان
للتحقيق والدراسات العلمية